رحيل جمال بكري احد كبار المعماريين والتشكيليين:

تشكيلي ومعماري نعى عمارة الحواضر العربية اليوم

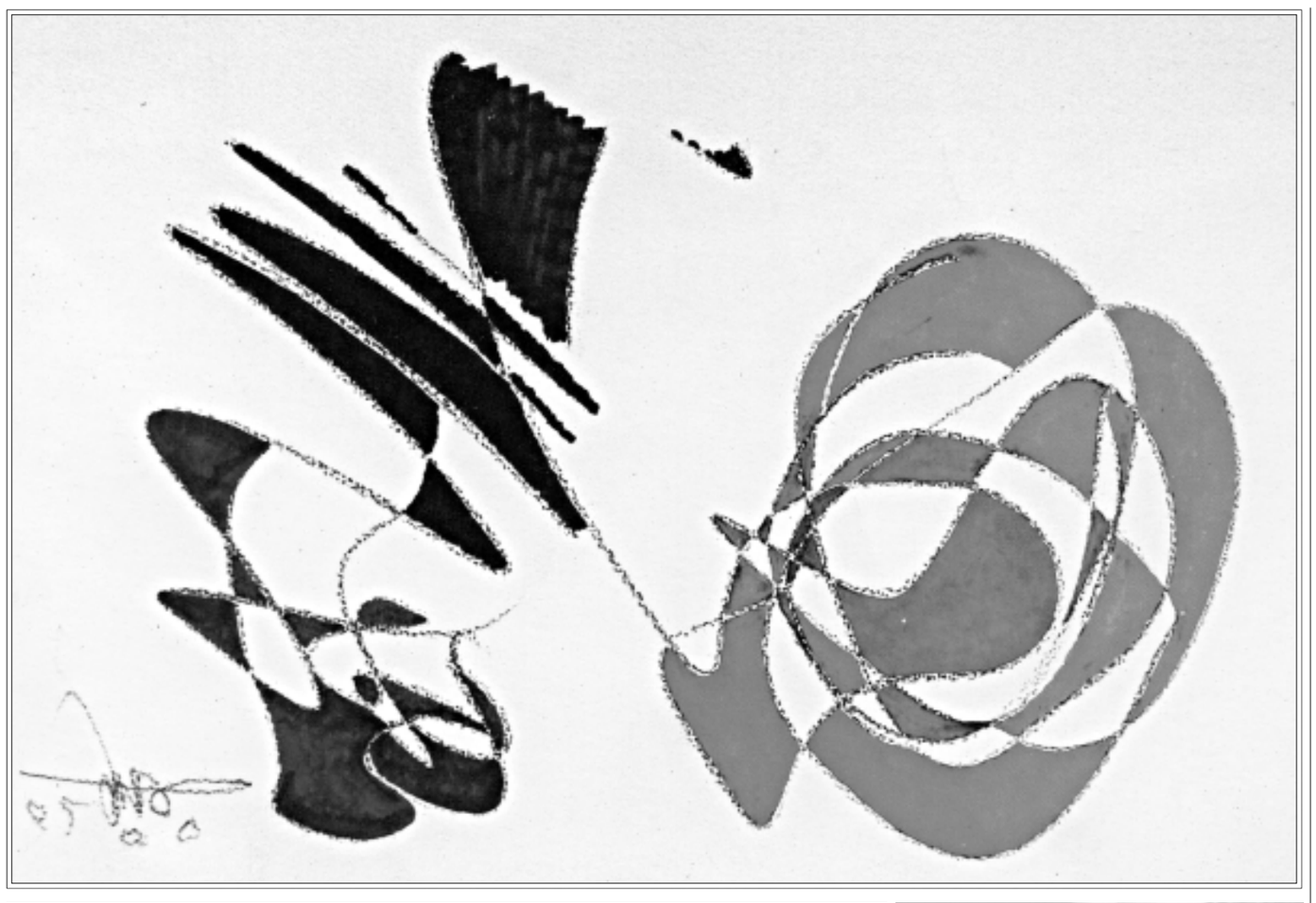

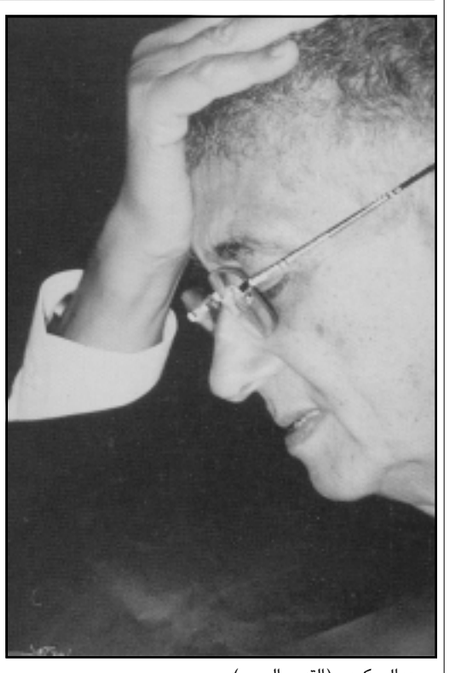

جمال بكري (القدس العربي)

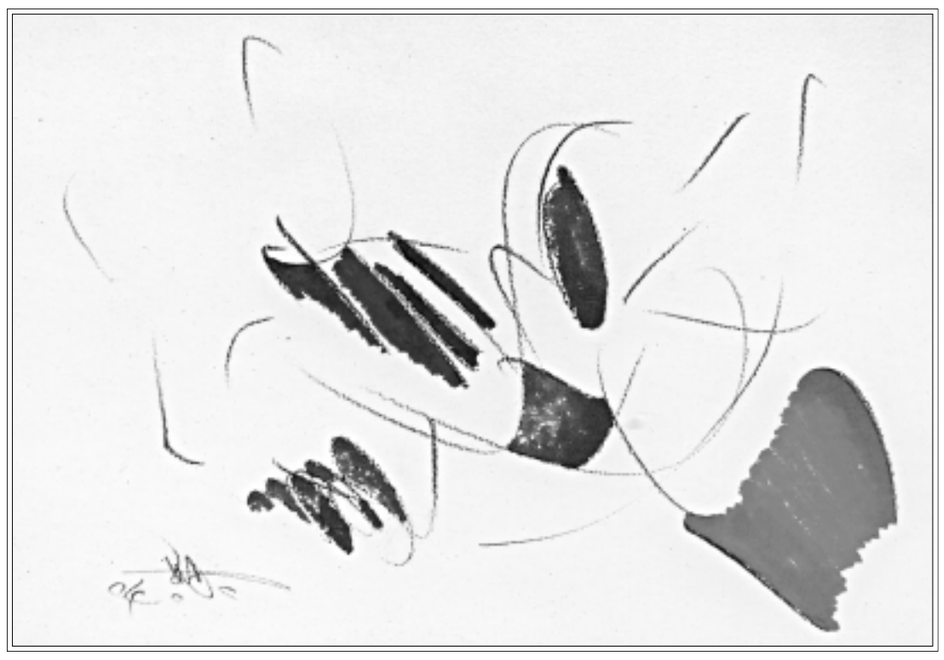

عملان للفنان (القدس العربي)

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمود قرني:

رحل عن عالمنا قبل ايام المعماري والفنان التشكيلي جمال بكري عن عمر يناهز الخامسة والسبعين من عمره، فقد ولد في التاسع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) عام 1931، وتخرج من كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة عام 1956، وبدأ منذ طفولته في ممارسة فن الرسم، وهو الى جانب ذلك عازف كمان وله عدة مؤلفات موسيقية، وقد شارك في معرض المعماريين عامي 1980، 1990، الاول كان بعنوان المريديان، والثاني كان بدار الاوبرا المصرية، وقد اقام معرضا خاصا لأعماله المعمارية بقاعة غاليري «المتاجر» بدار الاوبرا عام 2001.

يقول عنه الدكتور مصطفى الرزاز الناقد والفنان التشكيلي: «يجمع جمال بكري بين منتهى السجية والبراءة الطفولية، بين الحكمة العميقة ونفاذ البصيرة تمنحه الخصيصة الاولى طلاقة مذهلة في الافكار التي تنساب مخصبة بمكنونات الخصيصة الثانية دون ان تطيعها. تلك القدرة على ترويض الحكمة والمعرفة كي لا تزاحم حرية التحليق الابداعي، لا تتوافر إلا للنزر اليسير من البشر، وعندي جمال بكري قد اقترب كثيرا من دورة هذه العلاقة التكاملية المسالمة لاختراق آفاق العقل في مرونة النائم بالاجتياح التلقائي للفطرة، بذلك فان عقله وقلبه يلتقيان من عند مركز التفاعل، لا يكل أي منهما عن مساندة الآخر.

ويختتم الرزاز حديثه عن جمال بكري قائلا: يتأمل الاعمال التي فصلتها ولونتها يداه في لحظات الغفلة عن المعرفة، تنساب المشاعر المرهفة في صيغة الحان خالصة الصفاء تتقاطع وتلتف حول منشأها وتطوق مساحات كخرائط الهوى الأثيرية، بعيدا عن الاشباه وعن الكنايات، ومنزهة عن حسابات البناء وتوازناته، فهي وليدة الايقاع الداخلي البكر الكامن في وجدانه، والذي يثمنه كثيرا بعيدا عن الحنكة، وعن عدوه المعلن ـ اليقين».

وكان آخر معرض لجمال بكري هو المعرض الذي اقامه بمجمع الفنون بالزمالك في بداية عام 2005، وقد صدر بكري معرضه بقوله: «من الوجدان، حيث يحوي ما مر من احداث، حين انفصل السالب عن الموجب» لتدور دوامة الزمان، فينشأ المكان.

ينفصل النور عن الظلام.. والبحر عن اليابس.. نبت الزهر في الوديان. عمت الكائنات فظهر الانسان... فضول يتساءل.. نفس ترغب، ووجدان حاكم، يتصالح الانسان مع نفسه.. فيكون الفنان ينساب من وعاء تلقائية، فيفيض.. وتتوارى الصنعة».

ويعد جمال بكري واحدا من كبار المعماريين المصريين وتعد انجازاته المعمارية هي الأبرز في سياق اعماله بشكل عام، فقد صمم العديد من الأبنية المتميزة في مصر وخارجها، وكان مكتبه الهندسي قد انجز تصميما متميزا للمبنى المزمع اقامته لنقابة المحامين، وكذلك لمبنى متحف الحضارة المزمع اقامته في منطقة مصر القديمة. وحتى الآن لم تنتبه وزارة الثقافة الى الاحتفال بمنجز جمال بكري على أي مستوى وجاء رحيله ملفوفا بصمت غامض لا يتلاءم مع اهميته.

وكنت قد التقيت الراحل مرتين، الاولى كانت بمعرفة بقاعة مجمع الفنون حيث آخر معارضه، كان شديد الرقة والعذوبة في اصطحاب ضيوفه ومشاهدي لوحاته وفي تقديم قراءته الخاصة لأعماله بصوته الأجش الخفيض بطبيعته ولكنته المتقطعة الجميلة، وبحس معلم يعي ما يقول وما يفعل.

كانت اعمال جمال بكري المعروضة كلها تقع في اطار تجريدي مفارق لوعيه المعماري الذي يميل الى التجسيد والتعيين وليس الى التجريد. وكانت هذه المفارقة هي سؤالي الذي وجهته اليه.

كان شغوفا بسماع اسئلة من هذا النوع وكان السؤال فجر مكامن بؤرية داخل وعيه فانبرى يحدثني عن نعمة الخيال وعن درجة الحرية شبه المطلقة التي يحققها له الرسم، مؤكدا في كل مرة على ضيقه ـ في احيان كثيرة من الخطوط ذات الطبيعة الهندسية التي لا تحتمل الخطأ بطبيعتها في مقابل الخطوط الحرة التي يمنحها هبة لنفسه في حقل الرسم، وبمجرد ان يمسك بالفرشاة. كانت المرة الثانية التي التقيته فيها بعد ذلك بشهور قليلة عندما كنت ازمع اعداد استطلاع موسع عن المدينة العربية من حيث معمارها للمدينة العربية، وكنا متفقين ـ تقريبا ـ في هذه الناحية، غير ان ما تحدث عنه جمال بكري عبر استعراضه لأنماط العمارة تاريخيا وكيف تطورت وكيف كانت ملامحها تعكس روح عصرها وتأخذ منه الكثير، لكن أهم ما تناوله بكري كان حول سيادة النمط الغربي في العمارة في قلب المدينة العربية باعتباره نمطا نفعيا لا يلائم الطبيعة العربية ولا بيئتها، وفي النهاية رد ذلك الى نمط الانتاج المنتصر الذي يحمل مع انتصاره منظومة قيمية يؤكد بها هذا الانتصار.

كانت فكرة الارتقاء بالحواضر العربية هما ولم أكن اعلم بأهمية الفنان والمهندس جمال بكري، فلفتني الى ذلك الكاتب السياسي المرموق الصديق نبيل عبد الفتاح، فالتقيت بكري هذه المرة في مكتبه ووسط اوراقه ولوحاته، كان المكتب المجاور لحديقة الاورمان يكتظ بالوحات، فلا يكاد يخلو حائط من حوائط المكتب من لوحات بكري وعلى مبعدة ينطلق غناء هامس عبر جهاز التسجيل شديد النقاء، وكان التراث الموسيقي العربي هو الخلفية التي تشد أذني بين الحين والآخر.

تحدثنا طويلا عن انحدار النمط المعماري حقيقيا من هموم الفنان جمال بكري، وكان الارتقاء بهذه الحواضر شغله الشاغل، فقد تحدث بما يشبه البكائية عن الانماط المعمارية المعهودة في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وفاس ومراكش وغيرها.

وها هو جمال بكري يرحل دون انتباه احد فهل ينهض تلامذته، والجهات المعنية بوزارة الثقافة باقامة معرض استعادي لكل مراحل جمال البكري الفنية التي بدأ منذ خمسينات القرن الماضي بعد ان تخرج من كلية الهندسة بجامعة القاهرة الى ان انتهت هذه الرحلة قبل ايام مضت.

تداعيات

فتاوى كرة القدم

منتصر حمادة*

■ استنفار إعلامي كبير شهدته الساحة العربية، على هامش ضجة احتكار شركة عربية بث مباريات كأس العالم، بهدف تحقيق أكبر قدر من الأرباح. تذكروا جيدا أن المسألة اقتصادية بالدرجة الأولى، وبعيدة هذه المرة عن خطاب الوحدة العربية والأخوة الإسلامية وكل ذلك الكلام الكبير المُرَوَّجُ له في المحافل الرسمية والندوات الفكرية.. إلخ.

«القدس العربي» ذهبت بعيدا في توجيه انتقادات للشركة المسؤولة عن هذا الحرمان، مشيرة الى أن قرار الاحتكار «لا يقيم أدنى اعتبار للمشاعر الإنسانية لدى الملايين من عشاق هذه اللعبة الأكثر شعبية في المنطقة العربية»، ومؤكدة على أنه «من غير المنطقي أن تحتكر شركة واحدة بث مباريات كأس العالم في 22 دولة عربية، وأن تفرض أسعارها التي تحددها على كل من يريد مشاهدة المباريات من خلال قنواتها المشفرة. ففي هذا ظلم كبير، تتحمل «الفيفا»، أو الاتحاد الدولي لكرة القدم المسؤولية الكبرى فيه». («القدس العربي» عدد 2006/6/19).

شاءت الأقدار الإلهية أن تتزامن هذه الضجة مع إعلان الملياردير الأمريكي بيل غيتس ـ رئيس شركة مايكروسوفت العملاقة، وأغنى رجل في العالم ـ عن تفرغه للمؤسسة الخيرية العملاقة التي أسسها لمساعدة الفقراء والمحتاجين. استشهد هذا المنبر بنص الخبر في معرض التعليق على تبعات احتكار الملياردير العربي بث مباريات كأس العالم، على سبيل التنبيه إلى «الفرق بين أغنيائنا العرب والأغنياء الغربيين»، حيث «ان الأوائل بلا قلوب، وتعاطفهم نادر مع الفقراء والمسحوقين» أما «الأغنياء العرب، أو بالأحرى معظمهم، لا يهمهم الفقراء والمحرومون، بقدر ما يهمهم زيادة معاناة هؤلاء وتنغيص حياتهم وحرمانهم من الحد الأدنى من الترفيه البريء المتمثل في مشاهدة مباريات كأس العالم».

لنضع بعض النقاط على الحروف، ليس تعليقا على التقييم الجاد لتعليق «القدس العربي»، ولكن، نتحدث عن حروف وثنايا قرار الاحتكار للملياردير العربي مع قرار التفرغ للملياردير الغربي.

ـ الربح هو إله الاقتصاديين، وعند هؤلاء، سواء كانوا في الشرق أو الغرب، لا شيء يعلو على قدسية الدولار واليورو.. وأن يخرج بيل غيتس عن هذا النسق من خلال إعلانه التفرغ لمساعدة الفقراء والمحتاجين، فالأمر لا يعدو أن يكون حالة شاذة ومُشَرِّفَة في آن: شاذة إذا أخذنا بعين الاعتبار القدسية التي يُجَلِّلُها هؤلاء الاقتصاديون، ومُشَرِّفَة لأنها تثبت للجميع بأن العالم ليس بؤسا في بؤس، ولله الحمد طبعا.

ـ لنفترض جدلا أن بيل غيتس (المسيحي) قرر فجأة استثمار جزء هين من ثروته في التبشير والتنصير! ستقوم قيامة إعلامية إسلامية عالمية ضد الرجل، ولن تتحدث أقلام المنخرطين في هذه القيامة عن الملايين والبلايين العربية التي تصرف في ملاهي وحانات وفنادق الشرق والغرب على حد سواء..

ـ نأتي لأهم المفارقات في ثنايا الخبر. من حيث المبدأ، يحق لرجل الأعمال العربي اتخاذ قرار الاحتكار، بصرف النظر عن سخط الملايين من العرب والمسلمين، ولن نتحدث عن سخط الإسلاميين، ليس بسبب قرار الاحتكار في حد ذاته، ولكن لأسباب أخرى، نطلع عليها في فتوى للداعية الكويتي حامد بن عبد الله العلي، وذلك على السؤال/الاستفسار التالي: «هل يجوز الاشتراك في قناة للرياضة لمشاهدة مباريات كأس العالم؟ بالطبع مع مراعاة عدم تضييع الصلاة أو فعل المنكرات»، وبالطبع كان جواب الداعية فاصلا من وجهة نظره: «لا يجوز، فقد قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، فقد بيّن في هذه الآية أن من أسباب تحريم الخمر، والميسر، صدهما عن ذكر الله وعن الصلاة، فدلّ على أنّ ما يصدّ عن ذكر الله والصلاة، حكمه التحريم، فعموم العلة يعمّ الحكم».

ويضيف الرجل أن «كل من تفقّه في أحكام الشريعة وعرف مقاصدها، يعلم أن هذه اللعبة وإن كان لعبها في حدّ ذاته ليس من المحرمات لكن مشاهدتها على النحو المنتشر هذه الأيام ليس له وجه في الإباحة، فذرائع تحريمها كثيرة، وهي من أشدّ الوسائل إفسادا للنشء، وتأثيرها عليهم في غاية السوء، في العقيدة، والأخلاق، وكل من كان مسحورا بها، ثم تاب يعرف ذلك ويقرّ به، والله أعلم».

نحن نتحدث عن دلالات امتلاك رجل الأعمال العربي قنوات فضائية دينية تروج للخطاب الدعوي، الذي للمفارقة، يمكن أن يمرر فتاوى شبيهة بتلك الصادرة عن الشيخ حامد العلي، وفتاوى أخرى تصب في تحريم الاحتكار، ناهيك عن تمريره لخطابات أخرى عن فضيلة الرحمة والوحدة والتعاون، دون الحديث.. إلخ.

غيض من فيض، لم نرغب في التفصيل فيه، وتفكيك دلالاته ونتائجه، فتوضيح الواضحات من الفاضحات.

* كاتب من المغرب

اللجنة المنظمة لمعرض فلسطين الدولي للكتاب تعلن بدء التحضيرات لإقامة المعرض في غزة

غزة ـ «القدس العربي»

ـ من أشرف سحويل:

أعلنت اللجنة المنظمة لمعرض فلسطين الدولي للكتاب بوزارة الثقافة بمحافظة غزة عن قيامها بالتحضيرات لاقامة المعرض رغم أن رائحة البارود تزكم الأنوف وحالة الاستقطاب الحاد تشتد بين الفصائل الوطنية والاسلامية في محافظات الوطن المختلفة وخاصة محافظة غزة. ورغم ان الطائرات والزوارق البحرية والدبابات والدافع الاسرائيلية ترمي بحممها على رؤوس أبناء شعبنا في القطاع الا أن الاستعدادات والتحضيرات جارية على قدم وساق لاقامة الدورة السابعة لمعرض فلسطين الدولي للكتاب.

وبينت اللجنة الاعلامية بتصريحات صحافية: «إن وزير الثقافة أصدر قراراً لاقامة الدورة السابعة لمعرض فلسطين الدولي للكتاب وان الاستعدادات متواصلة من خلال الاجتماعات الدورية التي تعقدها اللجنة المنظمة للمعرض والتي شكلت بعملها الهادف خلية نحل حقيقية لمتابعة الاتصالات مع الاتحاد العام للناشرين العرب والاتحادات القطرية ودور النشر العربية والأجنبية والمؤسسات الدولية ذات الصلة».

وأضافت اللجنة أن الاشتراكات العربية بدأت تصل اليها مضيفة الى انها تبشر بمشاركة عربية جيدة وتدلل على مدى اهتمام الناشرين العرب بمعرض فلسطين الدولي للكتاب الذي حقق رصيدا هاما في أوساطهم.

كما قامت اللجنة في الآونة الأخيرة باجراء الاتصالات مع شركة تطوير فلسطين المجمع الايطالي الأول لاحتضان هذا العرس الثقافي الهام على أرض المجمع بغزة وأثمرت الجهود المبذولة بموافقة الشركة على رعاية المعرض كإسهام منها على نشر الوعي والمعرفة الثقافية والانسانية في أرض فلسطين وكرد على حالات تعميم واشاعة الفوضى والظلام في أوساط شعبنا، مؤكدة على مدى حرص هذه الشركة والقائمين عليها على تقديم الدعم المتواصل لمعرض فلسطين الدولي للكتاب لا سيما وأنها ليست المرة الأولى التي ترعى فيها هذه الشركة معرض فلسطين حيث رعته في عام 2003.

وبينت اللجنة أنها اتخذت سلسلة من الخطوات الجدية والهامة على هذا الصعيد منها الشروع بتوجيه رسائل ومذكرات لمؤسسات المجتمع المدني وللشركات الخاصة لرعاية العديد من الأنشطة والفعاليات الخاصة بالمعرض لتأكيد الشراكة الحقيقية بين كل الجهات صاحبة المصلحة الحقيقية في انتصار المعرفة والتنوير في أوساط شعبنا.

كما باشرت اللجنة باعداد الموازنة التقديرية للمعرض التي من المفترض تقديمها بصيغتها النهائية في الأسبوع القادم لاقرارها كمقدمة لرفعها لوزير الثقافة د. عطا الله أبو السبح للمصادقة عليها. وفي هذا السياق كلفت اللجنة المعنيين فيها باعداد المناقصة الخاصة بالمعرض بهدف نشرها في الصحف المحلية لاستجلاب عروض الأسعار لها من الشركات العاملة في حقل المعارض والمهرجانات.

وقالت اللجنة: «رغم أن رائحة البارود تزكم الأنوف وحالة الاستقطاب الحاد تشتد بين الفصائل الوطنية والاسلامية في محافظات الوطن المختلفة وخاصة محافظة غزة، ورغم ان الطائرات والزوارق البحرية والدبابات والمدافع الاسرائيلية ترمي بحممها على رؤوس شعبنا في القطاع الا أن الاستعدادات والتحضيرات جارية على قدم وساق».

وأضافت اللجنة أن البرنامج الثقافي الملازم للمعرض سيكون هذا العام متميزاً ونوعيا حيث ستوجه الدعوة للعديد من المفكرين والأدباء العرب للمشاركة في افتتاح الدورة السابعة وفعالياتها الثقافية لا سيما وأن هذه هي الدورة الأولى التي تقام في محافظات غزة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منها، الأمر الذي يعطيها أهمية خاصة لتشكل عرسا ثقافيا وفنيا بحلة وروح جديدتين تعكس أصالة شعبنا ورغبته الأكيدة في اشادة صرح الثقافة عاليا في أوساط أبنائه وبناته الباحثين دوما عن المعرفة وترسيخ هويتهم الوطنية والقومية.

7 ليالٍ على شفا غفوة

هشام نفاع*

■ عواء الواوي الذي أتى تحت داري، هذه الليلة أيضاً من سفح الكرمل، عبر حدائق البهائيين، أعلى من شجرة السرو التي تظلل سقف الطابق السادس فوقي. كلاب الجارة تنبح بغضب مبلل بالخوف. أنا منهك عاجز عن النوم. سيارة مسرعة تقصّ أذنيّ. صورة وجه نون المرسوم بلون الرغبة يلامس جبهتي. كأنني غفوت. حين فتحتُ عينيّ أفلتت مني صورة حلم وسقطت في ظلمة دامسة فيّ قبل أن أتحقّق منها. أرى القلق يأتيني من غد لم أصله بعد. قلق مؤجّل يتفاعل الآن/هنا. أفطن بخوف والديّ عليّ. قبل دقائق قال بورخيس من كتابه قرب وسادتي: «المطر شيء يحدث بدون شك في الماضي». لا مطر في حزيران. لقد ظلّ هناك ومعه الماضي قابعًا تحت لحاف الشتاء. الحرّ يلسع بأنياب من هسهس. ومن وحدة في سرير. وحدها صورة نون البعيدة ترسم ابتسامة متعبة في قلبي.

***

بكاء رضيع. صوت ناعم كبياض الحليب. يمسّ مسحة الطفولة التي ظلّت في القلب. لشدّة التأثّر والرحمة ترتبك فتبتسم. لقد أيقظ أولى محاولاتي للنوم. الابتسامة إيماءة تصرّفت وحدها تعبيراً عن التسامح مع إفشاله خطة نومي. صمت. أكيد أن أمه تأخذه في درب الحليب الى غفوة جديدة. مقدمة بترا البرغوثي لكتاب رفيقها فقيدنا حسين البرغوثي، هزمت التعب الذي كاد يسيل مني. أكسبتني بضع صفحات من الصحو التّعب. عتّمتُ الغرفة. طائر يصرخ أخرجَني من خلف جفَوني. ما ان تفتح جفونك حتى تعود للحياة. غريب. العيون منفذ الحياة إليّ، والملاذ منها. الطائر يصرخ. صوته آدميّ قليلا. قبل ـ إنسان. سمعته وكأنه قرد. رأيته سيقفز على السروة فالشرفة. تركت بابها مفتوحًا لشدة الحر. هل سيقفز إليها ويروح يركض من غرفة الى أخرى. خفت من صراخ الطائر القرد. سيفشل محاولة جديدة للرحيل خلف جفوني. أزلت عتمة الغرفة. قمت وأغلقت باب الشّرفة. أعدت قراءة رسالة نون على الهاتف. ابتسمتُ لها. عتّمتُ الغرفة. وضعت يدي اليمنى تحت رأسي وباليسرى أحطتُ بطني وقوّستُ جسدي محاولا العودة الى الجنين الذي فيّ، وانتظرتُ النوم.

***

صمت. حرّ رطب. فجأة صافرة إنذار خاصة. لم تنذر بحرب بل ربما باعتداء على سيارة أو دكان. صوتها يرنّ قرب الصحف بجانبي. توقّفت فجأة. صمت. صوت الثلاجة يؤشر الى اعتلالها. حشرجات من وهن. هل سأنتبه له كل يوم أم أنني سأتأقلم فأنسى. لقد صرت أستصعب النوم مع أني تخلصت من كيلوهات قلق مؤخّراً. هل يعسّر الصفاء النوم. كيف أفسّر هذا الأرق إذن. حين تصرخ احدى الجارات في ساعة مبكرة لا أشتمها في سرّي. في السابق كنت أفعل. وجهي يستسهل الابتسام اليوم. صدري يتسع لدى أكبر من الضحكات ولصدى أكبر للقهقهات اللاهية. لكن لحظة ما قبل النوم تتمدّد. أتذكّر حلمًا: مسيرا في زقاق قديم مع صديق قديم. وجوه قروية حنونة الصدر. ثم ثلاجتي مقصومة يسيل ماؤها كالنزيف. هل قتلها الوهن الذي شخّصته فيها. هل قتلتُها؟ أم أن الطبيعة رسمت مشهد طغيان الحرّ بموت ثلاجة؟ غريبة هي الأحلام. تحدث في الخارج ونراها فينا، في الداخل. كالحياة تماماً.

***

لوقع الرأس على الوسادة القطنية صوت ارتطام. ربما هي الفودكا. أو وجبة العشاء المتأخرة لشخص واحد. أو اقتراب العقارب من الفجر. صوت السيارة التي تمرّ في الشارع المقابل كالمطرقة. ضرباتها متقطعة وبعيدة. تغيب. شيء يشدّني من رموشي الى بئر النوم. أشمّ رائحة نون في خيالي. وفي شفتيّ ولساني. هناك روائح تلائم الذاكرة. تستعاد. ترسم صوراً وتعزف أصواتاً. رائحة تشبه ما يؤلف مادة الحلم. هيولى ملوّن.

***

على الجانب الأيمن. مرّة واحدة يتقلّص جسدي وتمسك قدم بتلابيب أختها/صاحبتها. أنظر في العتمة التي تخترقها سهام ضوء ضعيف. غداً الجمعة. ليته يكون حافلا بأكبر كمّ من الكسل وفرحة العقل. غابت هتافات كرة القدم قبل ساعات. لا يزال منها الوعاء الذي ترددتْ فيه. دور قديمة فقيرة بعض بعضها مرمّم على عجل. عاملات وعمال مهاجرون بشتّى الألسن والسحنات. فتيات صغيرات أنهكهن نسخ صورهنّ عن الشاشات. شبان يصرخون بحيرتهم الوجودية من أشكال ألوان شعورهم. التعب الآن لذيذ. يقود الى الغفوة ببراعة ناعمة. نون لا تزال ترقص بلا شك. لو أني رافقتها.. قدمي اليسرى غريبة. تثير فيّ مخاوف متطرّفة. كلمة جلطة ترنّ في مكان ما وتختفي. غداً سأنهض بكسل.

***

النوم بعد سهرة صاخبة طويلة سهل جداً. أكاد لا أذكر كيف دخلت الفراش. هناك صور متقطعة من حلم سعيد. رأيت أهلي فيه. كان خفيف الظلّ والوقع. كما لو أنه صياغة للطمأنينة. أو رغبة في الاطمئنان. أذكر ايماءة مني في حلم آخر بدون تفاصيلها. شيء كحركة اليد الخفيفة التي تبغي قول شيء مع تردّد مخفيّ لأن بعض الحركة غير عفوي. رجفة من الافتعال مرّت في الايماءة، واهتزازة خفيفة في الرموش. هل كنت أكذب في الحلم؟ هل يمكن التمييز بين الحقيقة والكذب داخل الحلم. هل يقتحم العقل خيال الحلم خلسة أحياناً فيوبّخ أو يحذّر. هل جاء ذلك استمراراً لحركتي المتحفّظة المنضبطة في تلك السهرة المحاكة بالافتعالات. هل كنت أوبّخ نفسي في حلمي على قبولي بمعايشة مجاملات الليلة؟

***

بدأ النوم بشكل مباغت. جسدان يتعانقان مع تعبهما اللذيذ. يصحو واحدهما للحظة، يتحسّس عناقه، يتأكد من رائحة الانصهار ثم يعود لغفوة تعود للانقطاع مجدداً. الفجر يملأ النوافذ. ضحكات خفيفة وتمتمات تصحو متسائلة. لننام على السرير بدلا من هذه الكنبة. بأرجل متعثّرة يملآن سريرا بالحميميّة. غفوات وصحوات عديدة تراودهما. جسدان يكثران من ايماءات الشوق في لحظات التحوّل الخاطفة بين الصحو والنوم. قبلة رقيقة على الاصابع. قدم تبحث عن قدم. كف تتحسّس خصلة. وشيء كالرّضا يملأ الحنجرة. هناك شيء طفوليّ في كل هذه الحسّيّة. كذلك الذي جمع دييغو وديفيد في هافانا. قصة «توت وشوكولاه» تقطر أسئلة لا تزال علاماتها المدورّة مزروعة عندي. ذات حلم رأيتني أودّ القول لـ نون شيئًا يشبه هذا: «إنه خيط واحد، لا يوجد غيره، أما ما يبدو فيه من تعدّد فهو منه هو، الواحد». من أين جاء هذا الكلام الذي حلّ فيّ حلولا. لم أقله ولم أكتبه. لكنه كلام مطبوع في ذاكرتي. لا أعرفه حرفياً بل أتخيّل فقط أنه هكذا. من أين جاء؟

***

الصباحات المليئة بالمشاغل عدوّة التذكّر. تطمس كل ما يمكن قوله. حتى التفكير في البدايات يصير من المتعب الوقوف عنده. البدايات بوصفها شيئا يسجّل في الخاتمة، كل مرّة. الفكرة الضائعة هي كالمولود الميّت. أمر حزين يستدعي القول: خسارة. كم خسرت من ذكريات راودتني وأنا نائم!

(حيفا ـ حزيران (يونيو) 2006)

* كاتب من فلسطين